

رحلة
الإنسان الخالدة

جمع وإعداد:
العبد الفقير إلى عفو ربه
احمد محمد صالح

رِحلَةُ الإنسَانِ آلْخَالِدَةُ



جمعِ وإعداد:

العَبدُ الفَقير إلى عفو رَبّهِ

احمد محمد صالح

المقدمة

الحمدُ للهِ نحمدهُ ونستعينهُ ونستغفرهُ ونستهديه ونتوبُ أليهِ ونعوذ بهِ من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهدِهِ الله فلا مُضل له ومن يُضلل فلا هادي له وأشهدوا ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمداً عبده ورسوله الداعي الى التوحيد الساعي بالنصح للقريب والبعيد المحذر للعصاة من نارٍ تلظى بدوام الوقيد، مبشر للمؤمنين بدارٍ لا ينفذ نعيمها ولا يبيد، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاةً لا تزالُ على كَرّرِ الجد يدين في تجديد وسلم تسليماً كثيرا.

وبعدُ، فإنَّ اللهَ جلَّ وعلا خَلَقَ الَخلْق لِيَعرفّوه ويَعبُدوهُ ويخشوهُ ويخافوهُ. ونَصَبَ لَهُمُ الأدِلة على عظمتِهِ وكبريائه لِيهابوُهُ ويخافوهُ خَوْفَ الإجلال والتَعظيم، وذكَّر جلَّ جلاله شدة عذابه ودار عقابِهِ التي أعدها لمن نبذ أمرهُ وعصاه ليتقوه بصالح الأعمال، ودعى عبادَهُ إلى خشيته وتقواهُ والمسارعةِ إلى امتثال ما أمرَ بهِ ويحبهُ ويرضاه واجتناب ما نهى عنه ويكرههُ ويأباه.

وبعد، فقد عزمت إن شاء الله أن أجْمَعَ من كلامِ الله جلَّ وعلا وتَقَدَّستْ أسماءُهُ ومن كلامِ رسَولهِ "صلى الله عليه وسلم" ومِن أهل العلمِ مَا يَحِثَني وإخْوانِي المسلمينَ على التأهْبِ والاستعدادِ لِما هو أمامُنا من الكروبِ والشدائدِ وما يَمرَّ بهِ الإنْسانُ في حياته الخالدةِ التي تبدأُ بِموتِهِ وتَنْتهي بِدخولِهِ جنَّةَ رَبّهِ والنَظرُ إلى وجههِ الكريم، لعلّ بذلك يكتسب القارئ اغتنام الأوقات في الباقيات الصالحات قبل هجوم هادِم اللذات ومُشَتّتِ الشملِ ومُفرّقِ الجماعاتُ.

واسأل الله الكريم ربّ العرش العظيم أن ينفعنا بهِ و إخواننا المسلمين انه القادر على ذلكَ وصلى الله على محمدٍ واله وصحابته أجمعين .

العبد الفقير الى عفو ربهِ

احمد محمد صالح

الرحلة الاولى

*** نهاية دنيانا ***

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اقتفىُ أثره الى يوم الدين وبعد:

اعلم وفقنا الله وإياك أن الموت اعاننا الله وأياك وجميع المسلمين على شدائدِهِ وسكراتِهِ وغمومِهِ هو الخَطْبُ الأفْظَعُ والأمرُ الأشْنَعُ والكأسُ التي طَعْمُهَا أكْرَهُ وأبْشَعُ وإنهُ الحادِثُ الهائِلُ العظيم الهادِمُ للذراتِ والأقْطَعُ للراحاتِ والأجْلَبُ للكرِيهَات وهو أمرُ لا بُدَّ مِنهُ ويَمرّ بِهِ كُلّ إنسان.

روى الامام احمد في كتابهِ الزهد وابو الشيخ في كتابهِ العظمة من حديث داود بن دينار التابعي المشهور قال رحمه الله اتخذ داود عليه السلام أبنُ أخٍ لهُ وزيراً وقرّبه وأدناه وأسرّه بخصائصهِ ثم انهُ لما مات داود عليه السلام ورثه سليمان فقال هذا أبنُ عمي ووزير ابي لأجعلنه في أخصّ خصائِصي وأقربه في مجلسي فقربهُ وحسدهُ الناس .

وكان مَلَكُ الموتِ يأتي الانبياء عياناً بصورة رجل فدخل يوماً في مجلس سليمان عليه السلام وهذا الوزير عنده، قال الوزير لسليمان:

من هذا لحظني واللهِ أرعَبَ نفسي؟

فقال سليمان: لا عليك، هذا مَلَكُ الموتِ ولو كان الأجلْ لقبضَ رُوحَكَ في الساعةِ، فازدادَ الرجلُ خوفاً وتوجُساً وقال: اني أسألكَ بالذي أعطاك ما أعطاك أنْ تأمُرَ الريحَ فَتُرسِلَني الى ابعدِ مدارةِ من مدارات الارض فلما الحّ على ذلك امرَ سليمان الرياح أن تُرسِلَهُ الى اقصى الهند وذلك قوله تعالى: ﴿ **فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ** ﴾ [ص: ٣٦] .

فحزن سليمانُ له، فلما جاء مَلَكُ الموتِ بَعْدَ ذلكَ أخبره سُليمانُ وقالَ: الخبرُ كذا وكذا. فقالَ لهُ مَلَكُ الموتِ: "حسَبكَ يا نبيّ الله، واللهِ ما نظرتُ اليهِ الا تعجُباً، امرني ربي أنْ أقبِضَ روحَهُ في أرض الهند الساعةِ وهوَ لا زالَ جالِسُ عندَكَ فلما حانتّ سَاعتهُ وذهبتُ للهند فإذا بهِ ينزل من السماء فقبضتُ روحهُ وتركتُ جسدهُ ملقاً على الارض" .

هذهِ الحقيقة التي لا بُدّ منها الا وهي الموت. أحبتي يا مَن تقرأ هذهِ الكلمات: أرواحُنا هذهِ التي نَحمِلُهَا نُفِخَتُ ونحن في ارحَامِ أمهاتِنَا بَعدَ أربعةِ أشهرٍ والروحُ التي نحملها بين جوارحنا وأجسادنا هي خالدةُ لا تموت ولا تفنى الذي يموت هو الجسد ، اما الروحُ فهيَ تنتقلُ مِنْ مَرحلةٍ الى أخرى فعندما كانتُ في الأرحام أشهرٍ خَرَجَتُ الى ما نحن عليه فمكثت في الدنيا تَنعَمُ بها سنينَ، سنتين أو سبعينَ او أقلّ مِنْ ذلكَ أو أكثر ما شاءَ اللهُ أنْ تكونَ فيهَا، ثم بعد ذلك سترحلُ الى حياةٍ لا نهايةَ لها انه الموت يا كرام ، ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق: ١٩] .

الموت هو الحقيقة التي لا شكَ فيها والنبي "صلى الله عليه وسلم" يقول: " **لكلِ داءٍ دواءٌ إلا السَّام – يعني الموت –** " .

نعم الا الموت مفرقُ كل جماعةٍ وهادمُ كُلّ لذةٍ وقَاطعُ كُلّ أملٍ، إنّهُ الأمرُ اليقين الذي قال الله عنه: ﴿ **وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ** ﴾ [الحاقة: ٥١] .

واعلموا رحمكمُ الله، أنّ الناسَ في ذكرِ الموتِ على أقسام: فمنهم المنُهْمِكُ في لذاتهِ ، المثابر على شهواته المُضيّعَ فيها ما لا يرجع من أوقاتهِ لا يخطرُ الموتُ لهُ على بالٍ ولا يَحدّثُ نفسهُ بزوالٍ واتّخَذَ ألههُ هواه فأصَمّهُ وأعماهُ وأهلكهُ وأرداهُ. **فإن ذُكِرَ له الموت نَفَر وَشَرَد وإن وُعِظَ**

أنِفَ وبَعدْ ونَكِبَ عن الطريقِ الصحيح وأقبل على بطنهِ وفرجهِ. تبَّت يداه وخابَ مسعاه وكأنه لم يسمع قوله تعالى: ﴿ **قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ** ﴾ [الجمعة: ٨] . وهذا وأمثالهُ إن ذُكرَ له الموت تَصَاْمَمَ عن ذِكْرِهِ كأنهُ لم يسمع ولم يمكنهُ من فكره رجاء إن يبلُغ ما أمَّل او يُدرك بعض ما تخيل فعُمرهُ ينقص وحرصه يزيد وجسمه يَخلَقُ ويضعف وأمله جديد وحتفهُ قريب .

وقسم آخر: وقليلُ ما هُمْ مَنْ أُزيل عن عينيه قذاها وكشف عن بصيرتهِ عماها وعُرضَتْ عليهِ الحقيقة فرآها وأبْصَرَ نَفْسهُ وهواها فَزَجَرَها ونَهاهَا وابَغضَها وقَلاهَا. فلبَّى المنادي واجاب الداعي وشمَّرَ لتلافي ما فاتْ والنظر فيها هو آتٍ وتأهَّبَ لهجومِ هادمِ للذات ومفرقُ الجماعات واستعدَّ لحَلول الشتات والانتقال الى مَحلَّةِ الأموات.

ومع هذا فهو يكره أن يشهدَ وقَائِعَهُ أو يرى طلائعهُ وليس يكره الموت لِذاتهِ ولا لأنه هادمٌ لِلذَّاتهِ ولكنهُ يخاف أن يقطعهُ عن الاستعداد ليوم المعاد والاكتساب ليوم الحساب، ويَكْرَهُ أنْ تُطْوى صَحيفَتهُ قبل بلوغ أمَلِه وأن يُبَادرَ بأجَلِهِ قَبْلَ إصلاحِ خَللِهِ وتدارُك زَلَلِهِ فهو يريد البقاء في هذهِ الدار لقضاء هذهِ الأوطار والإقامة بهذهِ الدار بسبب هذهِ العِلَّةِ.

فأمثال هؤلاء لله دُرّهم يُرجى لهم المغفرةُ والسرور والحُبور لتوبيخِهِ نفسَه واستعظامه لذنوبهِ ورجائهِ المغفرة .

- هل الموتُ شَر؟ -

نعم أحبتي في الله هذا الموت الذي يلقاهُ الإنسان أهو شرٌ؟

إن المؤمنَ الموتُ بداية السعادةِ لهُ وهذا الذي أُرُيدهُ من كل واحدٍ منا أن لا يَنْظر إلى الموت نظْرَةَ تشاءُمُ لا سيما المؤمنُ الموحد .

فالموت: هو أن تنتقل من الدار الفانية إلى الدار الباقية وأن تنتقل من جوار البشر إلى جوار ربَّ البشر. الموت: هو الذي يتعداهُ المؤمن إلى النعيم المقيم .

أحبتي في الله، أخي القارئ، أختي القارئة: النبي "صلى الله عليه وسلم" نقلَ لنا عن أحوال المؤمنين عند موتهم احوال جميلة مثال ذلك ما جاء في الصحيح من الحديث وما جاء في مسند الامام احمد من حديث البراء عازب إنه قال: خرجنا مع النبي "صلى الله عليه وسلم" في جنازةِ رجلٍ من الأنصار فانتهينا الى القبر ولما لم يُلْحَدْ فَجلَسَ رسولُ اللهِ "صلى الله عليه وسلم" وجلسنا حَوْلَهُ كأنَّ على رؤوسنا الطيرُ وفي يدهِ عُوْدٌ ينكُتُ في الارض فَرَفَعَ رأسَهُ فقال: استعيذوا بالله من عذاب القبر مرتين او ثلاث ثم قال: إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال على الآخرة نزل اليه ملائكةٌ من السماء بيضُ الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجَنَّة وحَنُوطٌ من حَنُوط الجَنَّة حتى يجلسُوا مِنهُ مَدَّ البصر، ثم يجيءُ مَلكُ الموتِ "عليه السلام" حتى يجلسَ عند رأسهِ فيقول: أيتها النفسُ الطيبةُ أخرجني إلى مغفرةٍ مِنَ الله ورضوانٍ فتخرج الرَّوحُ تَسِيلُ كما تسيل القطرة من فِيِء السقاء فيأخُذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفةَ عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط ويخرج منها كأطيبِ رِيحِ وَجِدَتْ على وجهِ الأرض . قال: فيصعدون بها فلا يمرون بها

على ملأً من الملائكةِ ألا قالوا: ما هذا الرّوح الطيّبَ؟ فيقولون هذا فلان بن فلان بأحسنِ اسماءه التي كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهُوا بها الى السّماءِ الدنيا فيستفتحُونَ لَهُ فَيفتحُ لهم فَيُشِيعُهُ مِنْ كُلّ سَمَاءِ مُقرّبُوهَا الى السّماء التي تليها حتى يَنْتَهُوا بِهِ الى السّماءِ السابعةِ فيقولُ اللهُ عز وجل: **"اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى...الخ"** .

هذا هو المؤمن تُبَشّرُهُ الملائكةُ عند موتهِ فلا يخافُ ولا يَحْزَنُ، كما قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ** ﴾ [فصلت: ٣٠] .

فالمؤمن لا يشقى عند موتهِ، بل المؤمن الشيء الوحيد الذي يَكدّره هو مفارقةِ الأحبةِ وهذا الفِرَاقُ سيُعوضهُ اللهُ ولا يحرِمُهُ مِن لقاءِهم بل أنّهُ سُيقابِلهم يوم القيامة في جنةِ اللهِ، كما قال ربنا الكريم: ﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ** ﴾ [الطور: ٢٧] .

فيا مؤمن لا تخف من الموت، المؤمن المطلوب منه هو أنْ يَسْتَعِدّ للموتِ، أن يكونَ إذا أتاهُ الموت مستعداً فعلاً للقاء ربهِ أما أن تخاف فلا؛ لأن المؤمن يُحب لقاءَ ربهُ تبارك وتعالى .

هذهِ هي الرحلة الاولى مِنْ الرحلةِ الخالدة للمؤمن ثُمّ تليها الرحلة الثانية وهي حياتهِ في البرزخ .

الرحلة الثانية

*** حياةُ البرزخ ***

إعلَمْ رحمنا الله وإياك وجمع المساكين، أن في القبرِ وظلمتهِ وضيقهِ ووحشتِهِ وَ طَرْحِ الميتِ فيه غيرَ مُمِهَّدٍ ولا مُوسَّد قد باشر التُراب وواجَهَ البلى وترك الدنيا وزينتها للورى ونبذ ما كان في يديهِ مع حبيبٍ تركه وقريبٍ أسلمهُ ونصيرٍ أفردهُ، إنَّ ذلك لَممَّا يَقْطِمُ النفوسَ عن الشهواتِ، فحذار حذار وبدارِ بدار، قبل إن تُصْرَعَ هذا المَصْرَع، قد جُمِعْتَ فِيْهِ جَمْعَاً وَرُصِعْتَ فِيْهِ رَصْعَاً وتُرِكْتَ لِلْهَوَامِ والدّيدَانِ .

أخرج ابن ابي الدنيا والحكيم الترمذي وابو يعلى والحاكم في الكُنى والطبراني في الكبير وابو نعيم عن ابي الحجاج قال: قال رسول الله "صلى الله عليه وسلم" : "**يقول القبر للميت حين يُوضع فيه: ألم تعلم ويحك أني بيت الفتنة وبيت الظلمةِ وبيت الوحدة وبيت الدود، يا ابن آدم ما غرَّك بي إذ كنت تَمرُّ علي فدَّاداً**" . فإن كان مُصلحاً أجاب عنهُ مُجيبُ القبر فيقول: أرأيت إن كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر؟ فيقول القبر: إني إذاً اتحولُ عليه خضراً ويعود جسدهُ نوراً وتصعدُ روحه إلى الله تعالى .

إن هذهِ المرحلة مرحلة ادخال الميت في قبره تسمى حياةُ البرزخ، والبرزخ هو الفترة الانتقالية ما بين الحياة الدنيا والحياة الأخرى، وهذهِ الحياة لا تتعلق بالقبور فهناك من يموت غريقاً وهناك من يموت حريقاً وهناك من يموت في حالٍ لا يَعْلَمُ بهِ ولا يُدَفَنُ في باطِنِ الأرض فتبدأ حياة البرزخ بمجرد أن يموت هذا الإنسان ويستقرُّ في مكانٍ من الارضِ .

- أحوال الميت في البرزخ -

يمرُّ الميت في حياة البرزخ بخمسة أحوال:

الأولى: وتسمى الضجعة؛ وهي فترة انتقال الروح وفيها يُكْشَفُ للإنسان مالا يُكشَفُ لغيرِهِ كما قال الله: ﴿ **فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ** ﴾ [ق: ٢٢] . يرى فيها الملائكة امام عينيه يراها كيف تَسْتَلُّ روحه وتُرْفَعُ الى السَّماء ثم تنزل من السماء إلى الارض ثم بعد ذلك تعودُ الى جسَدِهِ بَعْدَ ما يُحْملَ على الاكتاف، والمؤمنُ يقول: قدموني قدموني لأنه سعيد بما هو مُقبلُ عليه من حياةٍ جميلةٍ، حيثُ رأى الملائكة بيضُ الوجوهِ ومَعَهُم رائحة الجنةِ وكفنِ الجنةِ، فعندها يكونُ سعيداً يُسْعَدُ بما هو قادمُ اليهِ .

ثم بعد ذلك يمرُّ الميت **بالحالة الثانية** من أحواله في البرزخ ألا وهي الضمّةُ: وهي ضَمَّةُ شديدةً على غير المؤمنين وضمَّةُ على المؤمنين لكنْ لا يَسْلَمُ مِنْهَا أحدُ كما أخبرُ بذلك الصادقُ المصدوق حيث قال: "**إنَّ للقبر ضَمَّةٌ لو سَلِمَ منها أحدٌ لَسَلِمَ مِنْها سعدُ بن معاذ الذي اهتزَّ له عرش الرحمن**" . هذهِ الضمة هي توطئة **للحالِ الثالث** التي تأتي بعدها لأنها مرحلة وحالة شديد تمرَّ على الميت وهي مرحلة لا بدَّ منها وهي مرحلة نزول الملائكة فيجلسانهِ ثم يسألانهِ ثلاثةِ اسئِلةُ لا بُدَّ منها ، وهنا لا بُدَّ ان نتعرف قبل الخوض في أسئِلةِ الملكين، لا بُدَّ ان نتعرف إلى صفتيهما:

فقد صحَّ في صفةِ الملكينِ أنهما أسودان أزرقان يقال لأحدهما: المنكر، والآخر: النكير.

عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا قُبِرَ الميتُ أتاه ملكانِ أسودانِ أزرقانِ، يُقالُ لأحدِهما المنكرُ والآخرُ النكيرُ..." [رواه الترمذي: ١٠٧١] .

وصح ايضاً ما جاء في مصنف عبدالرزاق عن عمرو بن دينار أن النبي "صلى الله عليه وسلم" ، قال لِعُمَرْ: **"كيف بِكَ يَا عُمَرُ بِفَتَّانَيِ القبر إِذَا أَتَيَاكَ يَحْفِرَانِ بأنيابهما، ويطآنِ فِي أشعارهما، أَعيُنُهُمَا كالبرقِ الخَاطِفِ، وَأَصْوَاتُهُمَا كَالرَّعْدِ الْقَاصِفِ، مَعَهُمَا مِزْرَبَّةٌ لَوِ اجتمعَ عَلَيها أَهلُ مِنى لَم يَقِلْوهَا. قَالَ عمرُ: وأنا على ما أنا عليه اليوم يا رسول الله؟ قال: وأنتَ على ما أنتَ عليه اليوم. فقال: إذاً أَكْفِيهِمَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ"** . قال العراقي رحمه الله في تخريج الأحياء أخرجه بن ابي الدينا في كتاب القبور مرسلاً ورجاله ثقات، وقال البيهقي في الاعتقاد رويناه من وجه صحيح عن عطاء بن يسار مرسلاً ووصله بن بطه في الإبانة من حديث ابن عباس ورواه أحمد من حديث عبدالله بن عمر، وقال الاستاذ فريح بن صالح البهلال في تحقيقه الاعتقاد للبيهقي بعد أن أشار إلى هذهِ الطرق من الاسانيد ولعله بهذهِ الطرق والشواهد يكون إسناده حسناً .

نعم أحبتي في الله هذا هو شأن الملكان العظيمان اللذان يسألان الميت في قبره يسألانهِ فيقولان : **"من ربك؟ ما دينك؟ ما هذا الرجل الذي بُعث فيكم؟"** . هناك يُثَبتُ اللهُ الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا، هناك في ذلك المكان الإنسان مُنْقَطِّعٌ لا ذِكْرَ لَهْ إلا ما يُذَكِّرَهُ اللهُ وتنطق اعماله وسيرته التي كان عليها في حياتِهِ الدُنيا، ولذلك المؤمن مباشرةً يقول: ربي الله وديني الإسلام ونبيي محمد محمد محمد يكررّها اكثر من مرة لأنهُ فَرِحُ بِما أجَابَ . عندها سننتقل إلى المرحلة التي بعدها وهي

الحالة الرابعة التي يمر بها الميت حينما يوضع في قبره وهي: وَهُوَ في قبرهِ فإذا بهِ بَعْدَ سُؤالهِ الملكان ينزل عليه رَجُلُ فينظرُ اليهِ الميتُ فإذا كان شكْلُهُ جميلُ حسنُ يقول له مَن أنت؟ فوجهُكَ الوجهُ الذي يأتي بالخير وريحك الطيبة مَن انت؟ فيقول: إنا عملك الصالح، انا ذكرُكَ، انا صلاتك، انا صيامك، انا قيامك، انا دعاءُك، انا صدقتك، انا عملك الصالح . فعندها يَسْعَدُ ويَفْرَحُ بهذا الأنيس الذي يأتيهِ وهو في قبرهِ ويبقى معهُ أنيساً الى أنْ تقومَ الساعةُ .

وأما اذا كان عكس ذلك، نزل عليه رجلُ سيءُ الوجه سيءُ الريح كريهُ المَنظَرُ كريهُ المعْشَرُ فيقولُ مَنْ انت؟ فوجهك الوجهُ الذي لا يُبشرُ بالخير فوجهك الذي يُبشِّرُ بالشرَّ، فيقول: انا عملك السيء: ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [الانفال: ٥١] .

أما **المرحلة الخامسة**: وهي الأخيرة من حياة البرزخ، ان العبد يقال له انظر اذا كان من أهل الايمان يقال له انظر الى شمالك فإذا النار يحطم بعضها بعضاً فيخاف، فيُقالُ له لا تخف هذا مقامك لو انك عصيت الله ثم يقال له انظر الى يمينك فإذا نظر يرىُ الجنة فيقال له هذا مقعدك لأنك أطعت الله، عندها يصيح فيقول يا رب اقم الساعة اقم الساعة لما رأى مِنْ النعيمِ المقيمِ مِنَ الجنات .

وأما الآخر فينظر فيرى الجنة فيفرح مع انهُ رأى العمل ولم يجب على الأسئلة لكن يقال له هذا مقعدك لو انك اطعت الله ثم يقال له انظر الى الشمال فينظر الى النار يحطم بعضها بعضاً فيصيح ويخاف فيقال له هذا مقامك لأنك عصيت الله ثم بعد ذلك يقول يا رب لا تقم الساعة لأنه يعلم ان ما يَقْدِم عليه أكبر واعظم بلاءً .

نعم عباد الله هذهِ هي حياة البرزخ، حياة عصيبة ولكنها يسيرة على المؤمن يمر المؤمن بها: بالضجعة والضمة وسؤال الملكين ومجيء الرجل الأنيس وهو عمل الانسان ثم يرى مقعده من الجنة او النار . يبقى في هذهِ الحياة ما شاء الله له ان يبقى، سنة سنتين مئات السنين، إما عذابُ وإما نومةُ كنومة العروس، فَنُومَةُ المؤمن سعادة يجلس في قبرهِ مدةً حتى اذا قام يقال له كم لبثت؟ فيقول: يوم او بعض يوم مع انه جَلَسَ في قبرهِ مئاتَ السنين لأنهُ مُنَعَّمُ في قبرهِ .

إذاً هذهِ حياة البرزخ: تَنتَهي عِنْدَ النفخةِ الثانية من نفخة إسرافيل، وتبدأ بهذهِ النفخة الثانية مرحلة الوقوف والبعث مَنْ في القبور وهو اليوم الطويل .

نسأل الله أنْ يُوفقنا لصالح الاعمال وأنْ ينجينَا من جميعِ الأهوال ونسألهُ سبحانَهُ أنْ يُؤمِّنا من الفزع الأكبر يوم الرجفُ والزلزالُ وأنْ يغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين .

الرحلة الثالثة

*** اليوم الطويل ***

عباد الله .. قد سبق ذكر الموت وأحوال الميت في سكراتِهِ، وفتنةِ القبر وما يَمُرُّ بهِ المقبور في قبره، وسؤال منكر ونكير، ونعيم القبر وعذابه، وخطر من كان مسخوطاً عليه .

ثم يأتي بعد ذلك يومٌ طويلٌ مقدارهُ خمسين ألف سنة، يبدأ بالنفخِ في الصور **(النفخة الثانية)** كما قال الله تعالى: ﴿ **وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا** ﴾ [الكهف: ٩٩] . وقال تعالى: ﴿ **وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ** ﴾ [يس: ٥١] . وقال تعالى: ﴿ **وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إلا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ** ﴾ [الزمر: ٦٨] . وقال تعالى: ﴿ **وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ** ﴾ [ق: ٢٠] .

أحبتي في الله يجلس الناس أربعين بين النفختين، اربعين لم يحددها النبي "صلى الله عليه وسلم" اربعين يوماً او اربعين شهراً او اربعين سنة، فالله اعلم كم هذهِ الاربعين. ثم ينفخ اسرافيل النفخة الثانية، وقبل ان ينفخ النفخة الثانية يَنْزِلُ مَطرٌ ثخينٌ جداً فَتَنْبُتُ مِنْ جديد لَكِنَّ الخلقَ غير هذا الخلق، الشكلُ واحد ولكن الأجسادِ مختلفةٌ كلٌ حَسَبَ عَمَلِهِ.

فَبَعْدَ أنْ تَنْبُتُ الأجسادُ تُنْفَخُ النفَخَة الثانية، فتنطلقُ الارواحُ من حيثُ كانت والله اعلم حيثُ كانت، فتعودُ كلُ روحٍ الى جسدها، فيكون أول روح واول جسدٍ يُشقُّ عَنْهُ القبر هو رسول الله ونبينا محمد "صلى الله عليه

وسلم" ، ثمَّ نَقُومُ نَنَفُضُ التُرابَ والغُبَارَ مِنْ على رؤوسِنَا فَنَقِفُ مبعثرين كالفراش المبثوث نحن وَحولَنا الوحوشُ وكلُّ دابَّةٍ وكلُّ طائرٍ يطيرُ بجناحيه، كُلُّ امةٍ هي امثالنا ستُحْشَرُ معنا في ذلك الموقف العظيم، كما قال الله تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ [الانعام: ٣٨] .

في تلك اللحظةِ، وتلك الرَّبكَةَ، يأتي اسرافيل "عليه السلام" فيكون هو الداعي الذي قال الله عنه: ﴿ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ﴾ [طه: ١٠٨] . حينما نرى اسرافيل "عليه السلام" نمشي خلفه، فيتعدَّل وَضْعُ الناس والخلائق، فبعدما كان كالفراش المبثوث يكونوا كالجراد المنتشر.

والجرادُ كما تعلمون يسير بخطوط منتظمة، نسير مهطعين مقنعي رؤوسنا لا يرتد اليهم طرفهم وافئدتهم هواء غرلاً بُهماً حُفياً عُرياً . في ذلك اليوم وفي ذلك المقام الخطير العظيم ونحن خَلْفً اسرافيل عليه السلام نسير الى ارض عظيمة إلى ارضٍ غير هذهِ الارض وتحت سماء غير هذهِ السماء لان الله بدَّلها إنها ارض المحشر التي لا ترى فيها عوجاً ولا أمْتا. كما قال الله تعالى:" ﴿ لا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلا أَمْتًا ﴾ [طه: ١٠٧] .

بعد أن نأتي في ذلك المكان، فأول ما نبحث عنه هو الماء، كل أمةٍ ترى نبيها وحوله حوضه ونرى هناك نحن امة محمد "صلى الله عليه وسلم" نرى نبينا وحبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم فينادينا ويعرفنا، يعرفنا من وسط هذه الأمم والخلائق. **ولكن كيف يعرفنا؟**

يعرفنا من جباهنا وأيدينا ورؤوسنا وأرجلنا، لأننا أُمَّة محمد "صلى الله عليه وسلم" نُحشر غراً محجلين من آثار الوضوء. كما صح في البخاري من حديث ابي هريرة "رضي الله عنه" انه قال: سمعت رسول الله "صلى الله

عليه وسلم" يقول: **"إن أمتي يأتون يوم القيامة غُرًّا مُحجَّلين مِن أثر الوضوء، فمَن استطاع منكم أن يُطيل غرَّتَه فليفعَل"** .

فيا خسارةً ويا ندامة من حُرِمَ الوضوء والصلاة في هذهِ الحياة الدنيا .

نعم عباد الله نأتي اليه "صلى الله عليه وسلم" فَيَسْقِينَا من حَوضِهِ الكوثر فَنَشْرَبُ مِنْهُ ومن يَدِهِ الشريفة عليه الصلاة والسلام يشرب منه من مات على السنة، ويُبْعَدُ مِنْهُ أقوام مسلمين تبعدهم الملائكة وتطردهم لأنهم بدلوا دين الله، بدلوه بالكفر والنفاق والبدع والاحداث في الدين، نسأل الله العافية .

- ما هي أحوال الناس في المحشر؟ -

يقف الناس في ذلك اليوم وفي ذلك المحشر، ما هي أحوالهم؟

يقول "صلى الله عليه وسلم" : **"يبعث كل عبد في القبر على ما مات عليه"** [رواه مسلم: ٢٨٧٨] .

فتخيل انت اشكال الناس؛ واحدٌ يُحشر وهو قارئ للقرآن، ومنهم من يحشر ويبعث وهو يؤذن، ومنهم من يصلي ويتصدق، ومنهم من يحشر مُغتاباً وسارقاً وزانياً، وآخر يحشر وهو يشرب الدخان والخمور، وآخر يُبْعَثْ وهو يحملُ الاراضي فوقَ ظهره، وآخر يُبعث وفوق ظهره البعير والشاه والذهب والقماش التي سرقها، وهكذا كلٌ حَسَبَ عمله .. يُحشر المرء على ما ماتَ عليه، انه يوم عظيم، انه يوم الفاضحة، كما قال الله تعالى: ﴿ **يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ** ﴾ [الطارق: ٩] .

في ذلك اليوم يبلُغُ الأمر من الحيرة والدهشة والاضطراب والذهول، وترى الناس كأنهم سُكارى من شدَّةِ الرَّوع والفزع والخوف الذي صيَّرَ مَنْ

رآهم يُشبهُهُم بالسُكارى وما هم بسُكارى ولكن عذاب الله شديد. إنه لمشهدٌ مُجَرَّدَ تصوره يخلع القوب حيث يرى الانسان ما لا يعهد، ويواجه ما لا يَدرك، ويشهد ما لا يملك الصبر أمامه ولا السكوت عنه. وكأنه من شدة ما نَزل يتمايل على ظهر الأرض ويشبثُ ويحاول أن يمسك بشيء لعله يثبت لأن كل ما حوله يمور موراً، يرى الجبال وهي تسير، واذا الجبال سُيرت هناك يشاهد ويواجهُ الحشر والحساب.

نعم يبدأ الحساب وأول ما يبدأ الحساب بالحيوانات، كل حيوان يأخذ من الحيوان الآخر حقهُ ومظلمته كما أخبر بذلك رسول الله "صلى الله عليه وسلم" ، فقد روى مسلم في صحيحه عن ابي هريرة "رضي الله عنه" ان رسول الله "صلى الله عليه وسلم" قال: **"لَتُؤَدُّنَّ الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يُقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء"** .

ثم بعد ذلك يأمر الله ان يكونوا تراباً وان يتحولون الى تراب، عندها يقول الكافر وهو يرى هذا الموقف: **"يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا"** ، يتمنى ان يكون حاله حال هذا البهيم من الحيوانات، فلا حساب ولا الى جنة ولا الى نار من شدة الموقف العظيم .

الناس في هذا الموقف العظيم الرهيب المرعب، يأتي منادٍ ينادي الناس أن استروا هذا وستروا هذا لان الناس كما تعلمون عراة لا لباس على أجسادهم، فَيُكْسَوْن، وأول من يُكسى ابراهيمُ خليل الله "عليه السلام" ، ثم ينادي في ذلك الموقف على اقوام نَشأوا في طاعةِ الله واقوام تحابُّوا في الله واقوامُ تصدَّقوا للهِ في الخفاء واقوام لم يهتكوا حرمة الله واقوامُ عُدُولٌ حكموا بالعدل بين الناس، يُنادى عليهم وهم كُثر فيخرجون فتذهب بهم الملائكة الى ظلٍ ظليل يضعهُ الله لهم في ذلك اليوم الذي تدنوا الشمس على

الخلائق مقدار ميل، فتمر عليهم الخَمْسِينَ ألف سنة الذي هو يوم المحشر كما بين صلاة الظهر والعصر، فترة قليلة لا أذية لهمُ فيهِ .

اما الذين بَقُوا فتدنوا عليهم الشمسُ مقدارُ ميلٍ فيغطيهم العرق ويلجمهم الجاماً كُلٌّ حسب عمله، كل ذلك اهانةً لهم وتوبيخاً وكفارةً لذنوبهم التي ارتكبوها في هذهِ الحياة الدنيا، ثم بعد ذلك تتبع كل امةٍ ما كانت تعبد، عبدة الاصنام خلف اصنامهم، وعباد القبور خلف قبورهم، كل امةٍ ظالمة ضالةٍ تتبع ما كانت تعبد، حتى اذا خَفَّتْ أرض المحشر تبدأ المرحلة التي بعدها وهي مرحلة الشفاعة، حيث في ذلك اليوم الذي مقداره خمسين ألف سنة يتْعَبون والشمس فوق رؤوسهم، فيبدأون يطلبون الشفاعة من الانبياء وشفاعة الشافعين من اجل الحساب وهي التي نتكلم عنها في الرحلة الخالدة الرابعة .

الرحلة الرابعة

*** يوم الشفاعة ***

إعلم رحمنا الله وإياك أن في الكلام عن هذه الرحلة عبرةُ للمعتبرين وفكرة للمتفكرين وتنبيهاً للغافلين وإيقاظاً للنائمين.

فبعدما يكون الناس في أرض المحشر في ذلك اليوم الطويل يقفون خمسين ألفَ سنةٍ فيملون ويتضجرون ويتعبون حتى إنَّ قائلهم ليقول اذهبوا بنا الى النار خلصونا من هذا المقام.

تخيلوا هذا المشهد العظيم والبشر كلهم في مكان واحد مجتمعون فيتفقون على ان يذهبوا إلى الانبياء ليشفعوا لهم فيذهبون جميعاً الى آدم ابو البشر "عليه السلام" فيقولون: **يا آدم يا أول البشر أنت أول الأنبياء إشفع لنا عند الله نريد ان نتخلصُ من هذا المقام والموقف العظيم ثم بعد ذلك إما الى جنةٍ وإما الى نار.** فيقول آدم "عليه السلام" : **إن الله قد غضب غضباً لم يغضب قبلهُ ابداً وإني قد أخطأت مرة فأكلتُ من الشجرة، مع ان الله قد عفى عنه لكنهُ عليه السلام يخشى ان يشفع، فيقول:** اذهبوا الى **غيري، اذهبوا الى نوح "عليه السلام" ابو البشر الثاني وأول المرسلين وأول أُولي العَزم من الرسل،** فيذهبون اليه فيقولون: يا نوح اشفع لنا عند الله، فيعتذر اليهم ويقولون لقد دعوتُ على قومي وعدَّ هذا من العصيان فقال اذهبوا الى غيري اذهبوا الى إبراهيم "عليه السلام"، **ومَنْ اعْظَمُ مِنْ إبراهيم عليه السلام؟**

النبيَّ النقيَّ التقيَّ الوليَّ الحفيَّ الذي إيمانُهُ إيمانَ أمَّةٍ، فيصِلونَ اليه: يا إبراهيم يا نبي الله وخليلهُ اشفعْ لنا عند الله، فيرفض ذلك ويعتذر اليهم

ويقول لقد كذبت ثلاث كذبات. **ما هذهِ الكذبات التي كذبها ابراهيم في عمره كله؟**

الأولى قال: ﴿ **بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا** ﴾ عندما كسّرَ الأصنام وفي مقولتهِ هذهِ تَورية لا كذب فيه.

والثانية حينما اراد ان يتخلص من قومه معتذراً لهم عن الخروج إلى اعيادهم ﴿ **فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ** ﴾ اي مريض، وهذهِ ايضاً ليست كذبة كسابقتها اذ انه عليه السلام عرَّضَ في لفظةٍ ليتركوه.

والثالثة قوله حينما ارادوا أن يأخذوا زوجته فقال: "**هذهِ أختي**" والأخوةُ هنا اخوة الدين، فاعتذر عليه السلام للأمم وقال: لقد غضب ربي غضباً لم يغضب قبلهُ اذهبوا الى موسى "عليه السلام". فيذهبون جميعاً كلُ البشر إلى موسى "عليه السلام" فيقولون: يا موسى يا كليم الله اشفع لنا خلصنا من هذا المقام، فيعتذر اليهم ويخاف ويقولُ لقد قتلتُ نفساً، مع انه عليه السلام قد عُفِي عنه وغُفِرً له لكنه عليه السلام يخاف ويقول: اذهبوا الى غيري اذهبوا الى عيسى "عليه السلام". فينطلقون جميعاً الى عيسى "عليه السلام" فيصلون الى ذلك النبي المطهر، يا عيسى إشفع لنا، فيرفض أن يشفع ولم يُذكُرْ "عليه السلام" ذنباً اقترفهُ لكنه يرشدهم الى مَنْ هو افضل منه، فيقول لهم: إذهبوا الى محمدٍ "صلى الله عليه وسلم" ، الى رسولنا الكريم فيقول انا لها انا لها انا لها، فهو سيد البشر عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، فيقوم فيسجد تحت العرش فيحمدُ الله عز وجل بمحامد عظيمة يُلهمُهُ اللهُ الى تلك المحامد فيقول له الله تعالى: يا محمد ارفع رأسك وسَلْ تعطَ وشفع تشفَّع فيشفعَ الرسول الكريم، يشفع شفاعتين عظيمتين في البداية، الاولى: يشفع عليه السلام أن يبدأ الله بالحساب بين الخلائق،

والثانية: شفاعتهُ لنا امة محمد "صلى الله عليه وسلم" وهي الاولى لنا، وتبدأ شفاعته حتى ندخل الجنة، ثم بعد ذلك يأمر الله ان تَتْبَع كُلُّ امةٍ ما كانت تعبد، فيبدأ عُباد القبور والاصنام والاحجار فيقال لهم: انتم وما تعبدون حَصَبُ جهنم انتم لها واردون، ثم يؤتى باليهود فيقال لهم: ما تعبدون؟ فيقولون عُزيراً فيتمثل لهم عزيراً بشكله فيتبعوه والى النار.

يأتي الله في ذلك المقام للفصل بين الناس، فالله تبارك وتعالى مجيئهُ عظيم: ﴿ **وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا** ﴾ [الفجر: ٢٢] . تخيلوا ذلك الموقف العظيم والمشهد المهيب، يأتي تحمل عرشه الملائكة كما قال الله: ﴿ **وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ** ﴾ [الحاقة: ١٧] .

يقول رسولنا "صلى الله عليه وسلم": **"أُذِنَ لي ان اتكلم عن احد حملة العرش: ما بين شحمةَ أذنهِ ومنكبيه يطير الطائر المسرع سبعمائة سنة"** [أخرجه أبو داود: ٤٧٢٧] .

وربنا لطالما سمع من عباده ولطالما عفى عنهم ولطالما حلُم عليهم وأمَدَّهُم بالأرزاق وَوَسع عليهم وارسل لهم الرَّسلُ والانبياءُ وانزل الكتب واقام الحُجة عليهم، ثم اذا بالخَلْقِ عندما يُحْشَرُون عليه ويُحاسبهم واحداً واحداً، لا يدخل الجنةَ إلا واحدٌ من كُلَّ الفٍ، ولذلك يَغضبُ الله في هذا المقام وفي ذلك اليوم غضباً عظيم، فيفصل بينهم بعدله وحكمته وعفوه، فينصب لهم محكمتهُ العظيمة التي لا يظلم فيها احداً كما قال الله تعالى: ﴿ **وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ** ﴾ [الأنبياء: ٤٧] .

وهذا المقام العظيم من رحلةِ الانسان الخالدة هي التي نتكلم عنها في الرحلة الخامسة الا وهي المحكمة العظمى .

الرحلةُ الخامسة

*** المحكمة العُظمى ***

الحمد لله سريع الحساب والصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين الذي دعى الى الله واناب صلى الله عليه وسلم وعلى اله وصحبه الأحباب .

فَبَعْدَ أنْ يَقُومَ الرّسولُ "صلى الله عليه وسلم" للشفاعةِ العُظمَى للخلائِقِ ويَسْجُدُ تحت العرش سجوداً عظيماً في يوم مهيبٍ يوم تشرقُ الأرض بنور ربها فلا شمسَ هناك ولا قمر وانما هو نورُ الله عز وجل هو الذي يغشى الموقف العظيم، ويأتي ربنا جل جلاله في موكبٍ عظيم مهيب ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر: ٢٢] .

يأتي ربّنا عز وجل لِيَفصِلَ بين عبادهِ، فالله عز وجل لا يمكن أن يُعذب إنسان حتى تقوم عليه الحُجة، كما قال الله: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ [الإسراء: ١٥] . هذاَ وعْدُ الله عز وجل للخلائق ان لا يُعَذّبَ أحداً حتى تُقام عليهِ الحُجة، ولذلك يأمرُ الله عز وجل أنْ تُنْصَبَ مَحْكَمَةٌ عَظيمة جُنْدُها مَلائِكةُ لا يعصونَ اللهَ ما أَمَرَهُم ويفعلون ما يؤمرون محكمةُ نحنُ المتهمُونَ فيها، محكمةٌ شهودها الجوارح والأعضاءُ وكُلُّ شيءٍ يشهد، محكمةٌ قاضيها هو الله عز وجل، فلا ظلم ولا رشوة ولا تزوير ولا كذب. ثم بَعدَ ذلك يأتي اللهُ بالأنبياء والملائكةِ، فيسألهم هل بلغتم الرسالةَ كما قال الله: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيداً ﴾ [النساء: ٤١] . فكلُ نبيَّ يشهدُ انهُ بلَّغ، ثم يأتي الملائكةُ مع كل نفسٍ سائقٍ يسوقها وشهيد يشهد عليها أمام الله عز وجل حتى لا يكونَ ظلمٌ في ذلك اليوم، ثم يبدأ بعد ذلك الحساب:

- أصناف الناس عند الحساب -

خمسة أصناف أذكرها لكم في ذلك الموقف العظيم:

أما الصنف الاول: فهم الذين ماتوا على الشرك وهم يعلمون انهم مشركون، هؤلاء لا يغفر اللهُ لهم كما قال ربنا تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيماً ﴾ [النساء: ٤٨] .

لذلك يأمرُ اللهُ الأمم التي كانت تعبد الأصنام ومن كانت تَعْبُدُ غير الله، فيخرج هُبل واللات وعُزى فيتبعونَهم فيحاسبهم الله، وهذا هو الصحيح من أقوال أهل العلم انهم يُحاسبون قبل دخولهم إلى النار، وذلك لنصوص الكتاب والسنة، كما قال الله تعـالى: ﴿ وَيـوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ [القصص: ٦٢] . وقال الله: ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴾ [الصافات: ٢٤] . وقال الله تعالى: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِيْنَ*عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الحجر: ٩٢-٩٣] . ثم بعد ذلك يأمر الله بهم الى النار: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴾ [الأنبياء: ٩٨] . فتأخذهم الملائكة تسوقهم إلى النار، فَيُؤخَذونَ بالنواصي والاقدام ثم يُرمَون الى جهنم وبئس المصير: ﴿ يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ ﴾ [الرحمن: ٤١] .

اما الصنف الثاني: فهو الكافر الذي كفر بالرسالة يأتي اللهُ بهِ فيسأله الله ألم أُسَوْدُكَ؟ ألم أُرَبِعُكَ؟ ألم أُزُوْجْكَ؟ ألم أُسَخَرْ لك البغالَ والحمير؟ ألم؟ ألم؟ يسأله الله ويقرره بالنعم، وهذا يُقِرُّ ويعترف ويقول نعم نعم فيسأله الله هل آمنت انك ستقف أمامي؟ فيقول لا يا رب فيقول الله له إذن إنَّا نَنْساكَ اليوم كما نسيتنا. فَيؤُمَرُ بهِ إلى جهنم، كما قال الله تعالى:

﴿ **وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ** ﴾ [الجاثية: ٣٤] .

ثم يأتي الله بالصنف الثالث وهم المنافقين: المنافق يقف امام الله، فيسأله الله كسابقيه، يسأله بالنعم فيقرُّ ويعترف ويقول نعم يا رب.. نعم يا رب، فيقول الله إذن ماذا فعلت؟ فيقول صليت وزكيت وصمت وركعت، وهذا المنافق يظن إنه يخادع الله ونسيَ أن الله يعلم السِرَّ وأخفى، نسيَ إنهُ في يوم الفاضحة، ﴿ **قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ** ﴾ [آل عمران: ٢٩] .

عندها يقول الله له إذن نأتي بشاهد عليك، فيستغرب من الذي يشهد عليه، فيختم الله على فمه فترتفع يده فتقول اللهم يا رب اني اشهد اني قد كتبت وبعثُ ومنعت واعطيت، ثم ترتفع اليد اليسرى وتشهد كما شهدت اليمنى، وتشهد العين وتقول يا رب إني رأيتُ، وتشهد الأُذن وتقول وانا سمعت، وتشهد الرِّجل وتقول وانا مشيت، ويشهد الله ويقول وانا سترت ولكنك أبيتَ إلا الفضيحة، فيفضَحُهُ الله على رؤوس الاشهاد، يقول الله تعالى: ﴿ **حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ [فصلت: ٢٠] ، وقال تعالى: ﴿ **الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** ﴾ [يس:٦٥] . فيأخذ كتابه بشماله ثم يُرمى في نار جهنم بعد مسيره على الصراط .

ثم يأتي بالصنف الرابع: وهم من أمةِ محمد "صلى الله عليه وسلم" لكنهم ظلموا وسفكوا وضربوا وقتلوا واغتابوا وكذبوا، وهؤلاء هم المفلسون الذين أخبر عنهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بقوله: " **أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟ قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لا دِرْهَمَ لَهُ وَلا مَتَاعَ. فَقَالَ: إِنَّ الْمُفْلِسَ**

مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاَةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ" [رواه مسلم: ٢٥٨١] .

هؤلاء تحت مشيئة الله عز وجل ورحمتهِ إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم، فلا نحكم عليهم بجنةٍ ولا بنار فهم تحت عدل الله وقسطه لكنهُ يرجى لهم الخير طالما انهم موحدين. نسأل الله العافية .

اما الصنف الخامس: فهو العبد الذي يأتي الله بهِ يوم الحساب امام الخلائق والناس خلفه والله يحكم ثم يتقدم العبد حتى يصل امام الله، هذا العبد عنده شيء من الأمل لأنه شرب من حوض النبي "صلى الله عليه وسلم" ورأى الجنة في قبرهِ لكن الموقف مهيب، فإذا وقف أمام الله يستره الله بستره فلا يراه أحد إلا الله عز وجل ثم يسأله الله، يسأله فيقول عبدي أتذكر يوم فعلتَ كذا وكذا وكذا؟ فيقول نعم يا رب اذكره .

لماذا يقول اذكره؟

لأنه يقرأ كتابه عنده والله يقول: ﴿ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ [الاسراء: ١٤] . يقول نعم أذكرُ يا رب فيبدأ الله يذكره بذنوبه التي فعلها وكلما ذكرَّه بذنب خافَ حتى كادَ ان يهلك وَرَبُّنَا رَبٌّ كريمٌ لا يمكنْ ان يُعَذِّبَهُ فيقولُ لا عليك لا عليكَ سَتَرْتُها عليك في الدنيا واليومَ انا اغفرها لك، الله اكبر.

كم ذنبٍ فعلناهُ والله يستر ويغفر. اعملوا لذلك اليوم العظيم، فكل شخصٍ سيُمكّنْ من مشاهدةِ وقراءةِ كُلُّ الأعمالِ التي عَمِلَهَا كُلُها على

طولِها وكثرتِها وتنوعِها سيُمكنُ مِنْ الإطلاع على سِجلهُ كاملاً، فالعاقلُ يَعملُ ويُبادِرُ ويُسارِعُ لعلهُ ينجوا في ذلك اليوم العصيب.

فقد روى مسلم في صحيحه ان النبي "صلى الله عليه وسلم" قال: **"رجل يؤتى بهِ يوم القيامة فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه وارفعوا عنه كبارها فتعرض عليه صغار ذنوبه، فيقول: يا رب عملت كذا وكذا وكذا وعملت يوم كذا وكذا وكذا، فيقول نعم لا يستطيع ان ينكر وهو مشفق من كبار ذنوبه ان تعرض عليه، فيقال له فإن لك مكان كل سيئة حسنة..."** .

نعم عباد الله هذا الصنف يقول الله له خُذْ كتابكَ بيمينك فيخرجُ يَرَاهُ الناسُ حاملاً كتابه بيمينهِ ويقولُ ويصيحُ: ﴿ **هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ*إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ*فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ*فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ** ﴾ [الحاقة: ١٩-٢٢] .

هذا هو الصنف الخامس من الناس يوم الحساب ماذا يحدث بعد ذلك ينتقل هؤلاء الى أرض مظلمة بعد الميزان وهي التي نتعرف عليها في الرَّحلةِ السادسةِ من رحلةِ الانسانِ الخالدة.

فنسأل الله ان يرحمنا برحمته وان يتغمدنا بعفوه وان يدخلنا الجنة وان يلحقنا بالصالحين .

الرحلة السادسة

*** المِيزان ***

الحمد لله المستحق لغاية التحميد المُتوحد في كبريائهِ وعظمته الولي الحميد والصلاة والسلام على محمد وعلى آله وصحبهِ الأجاويد، اما بعد:

فلا زلنا في رحلة الانسان الخالدة وما يمرَّ بهِ مِن أهوال يوم القيمة وهو يوم عظيم. قال القحطاني "رحمه الله" :

يوم القيامةِ لو علمتَ بهولـهِ لَفَرْتَ مِن أهلٍ ومن أوطانـــــي

يـومٌ تشقَّقَتِ السماء لِهولــهِ وتشيبُ منهُ مَفَـــارِقُ الوِلَــدَاني

يومٌ عبوسٌ قمطريرٌ شَـــــرُهُ في الخَلقِ مُنتشِرٌ عَظيمُ الشَّـــأنِ

يوم يجيءُ المتقــون لِرَّبِهـم وفـداً على نُجُـبٍ من العِقْبـــانِ

ويجيءُ فـيهِ المجـرمـــون إلى لظى يتلمَّظون تَلَمُظَ العطشانِ

فبعد ان ينتهي عَرْضُ الأعمالِ والحساب ولإتمام عَدْلِ الله عز وجل لأن الله وعد الخلق انه: ﴿ **فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ*وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ** ﴾ [الزلزلة ٧-٨] .

لذلك العباد يأخذون كُتُبَهم وصَحَائِفهم ومعهم ما يحملون من أوزار فينطلقون الى مقام عظيم ألا وهو الميزان وهو مقام عظيم ورد في الأثر ما رواه ابو داوود عن عائشة "رضي الله عنها" انها ذكرت النار فبكت فقال رسول الله "صلى الله عليه وسلم": ما يبكيك؟ فقالت: يا رسول الله ذَكَرْتُ النار فبكيت فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟ فقال رسول الله "صلى الله عليه وسلم" : أمَّا في مواطن ثلاث فلا يذَكرُ أحدٌ أحداً: عند الميزان حتى

يعلم أيَخِفُ ميزانَهُ أم يَثْقُل، وعنْدَ الكتابِ حين يُقال هَاؤُمُ اقرَءوا كتابِيَه حتى يعلم اين يقع كتابه أفي يمينه ام في شماله ام وراء ظهره، وعند الصراط اذا وضع بين ظهري جهنم" [رواه ابو داوود وحسَّنَه العراقي] .

الميزان : هو المرحلةُ السادسة من رحلة الانسان الخالدة، وهنا السؤال ما هو الميزان؟

- ما هو الميزان؟ -

ميزان حقيقي له كفتان الكفةُ الواحدةَ تَسَعُ السماوات والاراضين ووحدة قياسهِ ليست الغرام بل من يعمل مثقال ذرةٍ أو أصغر من ذرةٍ سيجدها في ذلك الميزان كما قال ربنا تبارك وتعالى: ﴿ **وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ** ﴾ [الانبياء: ٤٧] ، فَمالَكَ يا أيها الانسانُ سَتَأْخُذَهُ ومَا عَليكَ ستُحاسَبُ عليه.

الكفار اذا جاءوا الى ذلك المقام يجعل الله أعمالهم هباءً منثورا، كما قال الله تعالى: ﴿ **وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا** ﴾ [الفرقان: ٢٣] ، فلا قيمة لهم ولا وزن لأعمالهم، اما أهل الأيمان فَيَقدِمون إلى ذلك المقام معهم صحائفهم واعمالهم فتوضع في الميزان، يبدأ الانسان يقرأ كتابه حرفاً حرفاً وهو مشفق خائف، نسأل الله ان يؤمنا في ذلك المقام وان لا يجعلنا من المجرمين الذين قال فيهم: ﴿ **وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا** ﴾ [الكهف: ٤٩] .

فتبدأ تقرأ الحسنة والسيئة، فالحسنات في كفة الحسنات والسيئةِ في كفة السيئات، وهنا يُبان وتَبرز أهمية الحسنة مهما قلت ومهما صغرت فهي عظيمةٌ في هذا المقام، فلا تستصغر الحسنة ايها المسلم ولا تحقرنَّ من المعروف شيئاً ولو ان تلقى أخاك بوجهٍ طلق بشوش. وهنا اذكر لكم قصة اذكرها لما فيها من فائدة في هذا المقام العظيم:

- قصة احمد بن مسكين -

فمن عجائب ما روى أهل السير عن أحمد بن مسكين أحد علماء القرن الثالث الهجري في البصرة، قال "رحمه الله" : امتُحِنتُ في الفقر سنة ٢١٩هـ فلم يكن عندنا شيء وليَ امرأة وطفلها وقد طوينا على جوعٍ يخسف بالبطن خسفاً فجمعت نيتي على بيع الدار والتحول عنها، فخرجت اتسبب لبيعها فلقيني ابو نصر فأخبرته بنيتي لبيع الدار فدفع إليَّ رقاقتين من الخبز بينهما حلوى وقال اطعمهما اهلك ومضيتُ الى داري، فلما كنت في الطريق لقتني إمرأةُ معها صبي فنظرت الى الرقاقتين وقالت: يا سيدي هذا طفل يتيم جائع ولا صبر له على الجوع فأطعمهُ شيئاً يرحمك الله، ونظر اليَّ الطفلُ نظرةٌ لا انساها، فدفعت ما في يدي للمرأة وقلت لها: خذي وأطعمي ابنك، والله لا املك بيضاء ولا صفراء وان في داري لمن احوج الي هذا الطعام فدمعتُ عيناها وأشرقَ وجهُ الصبي، ومشيت وانا مهموم وجلستُ إلى حائط أفكر في بيع الدار واذْ أنا كذلك اذ مَرَّ ابو نصر وكأنه يطيرُ فرَحاً، فقال: يا ابا محمدٍ ما يجلسك ها هنا وفي دارك الخير والغنى؟! قلتُ سبحان الله! ومن اين يا أبا نصر؟! قال: جاء رجلُ من خراسان يسأل الناس عن ابيك أو أحدٍ من اهله ومعهُ أثقالٍ وأحمالٍ من الخير والاموال! فقلتُ ما خبره؟! قال انهُ كان تاجرٌ كان أبوكَ أودعهُ مالاً من ثلاثين سنة

فعادَ الى البصرةِ وأراد أن يتحلل فجاءك بالمال وعليه ما كان يربحهُ في ثلاثين سنة.

يقول احمد بن مسكين فحمدت الله وشكرته وبحثت عن المرأة المحتاجة وطفلها فكفيتهما وأجريت عليهما رزقاً ثم اتجرت في المال وجعلتُ أزيد في المعروف والاحسان وهو مقبل يزداد ولا ينقص، فكأني قد اعجبتني نفسي وسرني اني قد ملأت سجلاتُ الملائكة بحسناتي ورجوتُ ان اكون قد كُتِبتُ عند الله من الصالحين!

فنمت ليلةً فرأيت كأني في يوم القيامة والخلق يموج بعضهم بعضاً، ورأيت الناس وقد وُسِّعتْ ابدانهم فهم يحملون أوزارهم على ظهورهم مخلوقةً مجسمةً، ثم وضعت الموازين وجيء بي لوزن اعمالي فجُعلَت سيئاتي في كفه وألقيت سجلات حسناتي في الاخرى وطاشت السجلات ورجحت السيئات ثم جعلوا يلقون الحسنة بعد الحسنة مما كنت اصنعه!

فاذا تحت كل حسنة شهوة خفية من شهوات النفس كالرياء والسمعة والغرور وحب ممدحة الناس فلم يَسلم لي شيءُ وهلكت عن حجتي وسمعت صوتاً: ألم يبق له شيء؟ فقيل بقي هذا وانا انظر لأرى ما هذا الذي بقي، فإذا الرقاقتين من الخبز اللتان احسنت بهما على المرأة وابنها فأيقنت اني هالك، فلقد كنت أحسنُ بمئةِ دينار فما أغنت عني فانخذلت انخذالاً شديداً، فَوُضِعَتُ الرقاقتين في الميزان فاذا بكفةِ الميزان وكفة الحسنات تنزلُ قليلاً ورجحت بعض الرجحان ثم وضعت دموع المرأةُ المسكينة التي بَكتُ من أثر المعروف في نفسها ومن إيثاري إياها وابنها على اهلي، واذا بالكفةِ ترجُح ولا تزال ترجُح حتى سمعتُ صوتاً يقول: قد نجا قد نجا قد نجا.

نعم احبتي في الله، تأملوا في هذهِ القصة من حكمةٍ عظيمةٍ ألا وهي إنّهُ ينبغي للمسلم ان يُخلِصُ في عمله وان لا يُقِلُّ العمل ولا يَسْتَصْغِرُ الحسنة فالنبي "صلى الله عليه وسلم يقول: "**اتقوا النار ولو بشق تمرة**" .

فَيَقْدُمُ الناس على ذلك الميزان ولا يُمكِنُ أن يُظلمُ أحدٌ ولو مثقال حبةٍ من خردل، فينجح أقوام ترجح حسناتهم ويأخذون صحائفهم ثم يعطيهم الله نوراً كلٌّ قدر اعمالهم وحسناتهم، ثم يتجاوزن هذا المقام وهذهِ المرحلة إلى مكان ينتظرون.

لا يتجاوزون ولا أحد يتقدم وهو الذي نتكلم عنهُ في الرحلة القادمة. وأقوامٌ يرسبون ويفشلون رجحت سيئاتهم، وهؤلاء قد يعذبهم الله في النار او يعذبهم وهم في مسيرهم على الصراط كلُ ذلك مُكفرات لهؤلاء فهم تحت المشيئة.

- من هم أصحاب الأعراف؟ -

وهنا يحدث موقف عصيب جداً، انتبهوا اليه! يُنصب بين الجنة والنار مقام يقف عليه اقوام لا هم مع الذين نجوا ولا هم مع الذين رسبوا وفشلوا في الميزان، وانما هم واقفون على السور هذا السور اسمهُ الاعراف يقف عليه هؤلاء أيام وان يوماً عند ربك كألف سنةٍ مما تَعُدُّونَ، فيدْعُونَ اللهَ أن يُخلّصُهُم من هذا الموقف. **يُحبسون على الاعراف لماذا؟!** لأنهم اقوام تساوت حسناتهم مع سيئاتهم.

وهنا ينبغي للمسلم ان يتأمل عِظَمْ الحسنة وأثرها وثُقْلِ وزنها، فلربما هذهِ الحسنة التي تساهلت بها واستهنت بقدرها تكون مُنَجّيتكَ في مقام الميزان. فسبحان الله وبحمدهِ قولها مرة واحدة او ابتسامة ابتسمتها في وجه

أخيك أو أذيةً تميطها من وسط الطريق ربما تكون سبباً في نجاتك وتنقلك من اصحاب الاعراف الى اصحاب الجنة. أرأيتم قيمةَ الحسنةِ هنا؟ فقد يكون نجاتك صلاة تصليها على نبيك او ركعتان تركعهما او غير ذلك، فيا حسرةَ المفَّرطينَ، ويا حسرةَ المُضيعَّين، ويا حَسْرَةَ الخائبين، واللهِ لَيتَحسَّرُ امثالِ هؤلاء على كل جلسةٍ يجلسوُنها في ضياعٍ دوُنَ تسبيحٍ او تحميدٍ او تهليلٍ او تكبير.

فنسأل الله ان ينجينا من ذلك المقام وان ينقلنا إلى الصراط الذي يأتي بعد هذهِ الرحلة وان ينجينا من جهنم وان يدخلنا الجنة .

الرحلة السابعة

*** الصراط ***

إخواني إنّكُم في دار هي مَحَلُّ العِبرْ والآفاتِ، وانتم على سفرِ والطريقُ كثيرةُ المخالفات، فتزودوا من دُنياكم قبل المماتْ وتداركوا هَفَواتِكُم قَبْلَ الفواتْ، وحَاسِبُوا أنفُسَكُم وراقبوا الله في الخلوات، وتفكروا فيما أراكم من الآيات وبادروا بالأعمال الصالحاتِ قبل أن يغشاكم من غمِ الموت الغمرات.

عباد الله، فكما علمتم اننا ذكرنا أحوال الناس عند الميزان فمنهم من ثَقُلتْ موازينُهُ ومنهم مَنْ خَفَّتْ موازينُهُ، فمن ثقلت موازينه فهو في عيشةٍ راضية، واما من خفت موازينه فأمَّهُ هاوية وما أدراك ما هي نارٌ حامية.

بعد ذلك يُساقُ الناسُ الى أرضٍ مظلمةٍ والتي هي من أصْعَبِ المواقفِ التي من نجا منها فما بعدها أيسر.

في هذه الارض المظلمة وبعد ان وزنت الأعمال يعطي الله انواراً للناس كلٌ حسب عملِهِ، كما جاء ذلك في الصحيح ان النبي "صلى الله عليه وسلم" قال: **"فيعطون نورهم على قدر اعمالهم وقال: فمنهم من يعطي نوره مثل الجبل بين يديه ومنهم من يعطى نوره فوق ذلك ومنهم من يعطى نوره مثل النخلة بيمينه ومنهم من يعطى نوره دون ذلك بيمينه حتى يكون آخر من يعطى نوره على ابهام قدمه يُظيء مرة ويطفأ مرة اذا أضاء قدمه واذا أطفىء قام"** [السلسلة الصحيحة: ٤١٥] .

هكذا الناس يعطون نوراً في تلك المنطقة المظلمة على اعمالهم، ﴿ **وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ** ﴾ [النور: ٤٠] .

في ذلك المكان من لم يكن له نوراً لا ينجوا، فالأرض مظلمةٌ وبعد ذلك المسير على الصراط الذي وصفهُ النبي "صلى الله عليه وسلم" حيث قال: **"ويمرون على الصراط والصراط كحد السيف دَحِضٌ مزلةٌ، وعلى جسر جهنم وعلى هذا الصراط كلاليب وحسك تأخذ من شاء الله"** [رواه مسلم: ٣٠٢] .

في ذلك المقام يأمر الله أن يلقى الكفار والمشركين وعبدة الأوثان فيلقون في النار، فلا يمرون على الصراط على الصحيح من أقوال أهل العلم، فلا يمر على الصراط إلا المؤمنون وأهل الإسلام، وأقصد بأهل الإسلام كلَّ مَن كان مسلماً سواءٌ من هذه الأمة أو من الأنبياء من قبل، فأهل الكفر لا يجوزون الصراط بل يصارُ بهم إلى النار، **كما في حديث أبي سعيد وأبي موسى في الصحيحين: "أنه ينادى في الناس يوم القيامة فيقال: من كان يعبد الشمس فليتبعه ويتبع عباد القمر القمر ويتبع عباد الطواغيت ويصيرون إلى النار يلقون فيها يكبكبون"** [رواه البخاري ومسلم] . كما قال الله تعالى: ﴿ **فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ*وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ** ﴾ [الشعراء: ٩٤-٩٥] .

فَيُلقَونَ فيها القاءً، فيبقى ثلاث أصناف:

- أصناف الناس عند الصراط –

المؤمنون المرضي عليهم، والمؤمنون العصاة، والمنافقون، وهؤلاء يجلسون في أرض.

لمَّا يَشِّعُ نورَ أهل الإيمانِ كلٌ حَسَبَ عمله، والمنافقون مالهم من نور ينادُوْنَ أهلَ الإيمان ألا تعرفونا؟ ألسنا أهلكم؟ اعطونا من نوركم، فيقول

المؤمنون مخادعين لهم كما كانوا هم يخدعون أهل الإيمان يقولون لهم ارجعوا ورائكم فالتمسوا نورا، فيرجعون إلى الوراء يبحثون عن النور.

هنا في هذا المقام يُحال بينهم وبين أهل الايمان، فيُضرَبُ سُورٌ عظيم له باب بين المؤمنين والمنافقين، باطنه فيه الرحمة وذلك من قبل المؤمنين وظاهرهُ من قبلِهِ العذاب من جانب المنافقين، هناك يبدأون يصيحون ألم نكن معكم؟ ألم نكن أهلكم وأقاربكم؟ ، فعند ذلك يتبرأ منهم المؤمنون، لقد غركم بالله الغَرور الشيطان.

انكم ظننتم انكم لن تأتون الى هذا الموقف فَذْهَبُوا وبحثوا إلى من كنتم تنافقون لعلهم يعطوكم النور.

قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ*يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ* يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ*فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ [الحديد: ١٢-١٥] .

ثم بعد ذلك يُؤتى بِجهنم لها سبعون ألف زمام سبعون ألف سلسلةٍ على كل سلسلة أو زمام سبعون ألفَ مَلَكٍ يجرونها يخافون من ان تنفلت على الخلائق، هذهِ النار التي أُوقدَ عليها ثلاث آلاف سنة، ألفٌ حتى احَمَّرتْ والفُ سنةٍ حتى ابيَّضْت والفُ سَنةٍ حتى اسْوَدَّتْ، فهي سوداء

مظلمة، ثم يُنصَبُ عليها صراطُ اللهِ، هذا الصراط أدقُ من الشعرة وأحَدَّ من السيف وله روغان وحولهُ خطاطيفٌ وحسكٌ وكلاليب وشوك، والله اقسم فقال: ﴿ **فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا*ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا*ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا*وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيًّا** ﴾ [مريم: ٦٨-٧١] . **فهل يتأمل المؤمن ويتخيل ما معنى الورود على النار؟**

النار يا عباد الله عبارة عن حفرةٌ عميقة عمقها وصفها لنا النبي "صلى الله عليه وسلم" **وذلك لما سُمِعَ صوتُ وضجةٌ في الارض وهو جالس بين اصحابه، فقال اتدرون ما هذهِ الضجة؟ قالوا الله ورسوله اعلم، فقال: حجرٌ أُلقيَ في النار مُنذُ سبعين سنة الآن وصل الى قعرها**" الله اكبر **!** فهل تخيلتم عمق هذهِ الحفرة؟

عمقها سبعين الف سنة، دركات يأكل بعضها بعضاً .

ثم يُنصب عليها ذلك الصراط ويقال لك امشي، لأن الله اقسم انها سيردُها الناس، هنا سيُمر الأنبياء أول من يَمُرَّه هُمْ "عليهم السلام" ويصيحون اللهم سَلَّم سلَّم، ثم بعد ذلك كُلُ واحدٍ منا دون استثناء سيمُر على هذهِ النار. واللهِ يا عبادَ اللهِ لا ينفَعْكَ في ذلك المقام إلا اللهُ عز وجل، لذلك لا ينجوا إلا من اتقَ الله وخافه في السَّر والعلن وفي الغيب والشهادة، لذلك يقول الله: ﴿ **ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا** ﴾ [مريم: ٧٢] .

ما قالَ سبحانه ينجوا بل قال نُنجي، فهو سبحانه المُنجي في ذلك المقام.

نسأل الله تعالى ان ينجينا جميعاً .

فيامن عشت في حياتك طائعاً، وللفرائض مُؤدياً، وللنوافل محافظاً، وللشهوات تاركاً، وللغيب حافظاً، ولحرمات الله مُبتعداً، واللهِ إنَّ اللهِ لن يُضيعكَ ولنْ يُخزِيكَ في ذلك المقام وهذا الموقف الذي قال الله عنه مخبراً عن حال الناجين المتقين: ﴿ **لاَ يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ*لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ** ﴾ [الانبياء: ١٠٢-١٠٣] .

فهناك المؤمن ينجوا ويكون مروره سريعاً، فمنهم من يمر على الصراط كالبرق ومنهم كطرف العين وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب، بل ان من المؤمنين من يمر على الصراط فتقول النار أسْرِعْ وَجز فان نورك يكاد يطفئ ناري. ثم من المؤمنين من يَمُرُّ لكنَّ سَعْيهُ ومشيهُ بطيء يجلسُ مرة ويقوم مرة ومنهم من يَحبوا حَبواً فتخدشهُ الكلاليب والحسك، وهذا هو المؤمن العاصي الذي عصى في حياتهِ الدنيا لكنهُ ينجوا بفضل الله عز وجل بعد ما نال من العذاب والاهوال وهو على الصراط، وكلُ ذلك له مكفراتٌ حتى يدخل الجنة طيب طاهر.

يقول الشيخ عبدالرزاق البدر "حفظه الله": **"مشيُ الانسان وسعيهُ على الصراط يكون بحسب مشيه وسعيه في هذه الحياة الدنيا، إن كان مسرعاً على طاعة الله مسرعاً للحسنات مبادراً للطيبات فسيكون على الصراط مسرعاً، وأن كان بطيئاً متكاسلاً في طاعة الله مقبلاً على المعاصي فسيكوم بطيئاً على ذلك الصراط بحسب بطئهِ وسيره في هذهِ الحياة الدنيا..."** .

والثالث المنافق، عافانا الله وايَّاكم والمسلمين، فمجرد أن يقف على الصراط فالأرض مظلمةٌ ولا نور له والصراط أحدُّ من السيف دحضٌ مزلةٌ

وله كلاليب، فيتكردس والعياذ بالله في نار جهنم وفي الدرك الاسفل منها، ومن المؤمنين الذين غلبتهم سيئاتهم يسقطون ايضاً لكنهم لا يكونون في الدركات السفلى من النار، بل يطهرهم الله في الدرك الاولى منها، ومكوثهم فيها بحسب سيئاتهم لكنهم سيخرجون منها لان معهم كلمةُ عظيمة ألا وهي كلمة التوحيد، وهؤلاء وامثالهم لن يتركهم النبي محمد "صلى الله عليه وسلم" وهذا ما سنتعرف عليه في الرحلة الثامنة من رحلة الانسان الخالدة .

الرحلة الثامنة

*** القنطرة ***

أعلم وفقنا الله واياك وجميع المسلمين وأيقظ قُلوبنا وقلوبكم عن الغفلةِ ورزقنا وإياكم الإستعداد للنَّقلةِ من الدار الفانية الى الدار الباقية.

فبعد تجاوز المؤمنون الصراط العظيم ولا يتجاوزُ الصراط الا من رضيَّ الله عنه، ومن لم يرضى الله عنه فانه يسقط في جهنم - أجارنا الله وأياكم منها - فيُحبَسُ كُلُّ من رضي الله عنه وكُلُّ من عَبَرَ الصراط، يُحبسون على قُنْطُرةٍ بين الجنة والنار، فقد روى البخاري في صحيحه من حديث ابي سعيد الخُدري "رضي الله عنه" أن النبي "صلى الله عليه وسلم" يقول: **"يخلُصُ المؤمنون من النار فيُحبسون على قنطرةٍ بين الجنة والنار فيُقصُّ لبعضِهِم من بعض مظالمّ كانت بينهم في الدنيا..."** .

السؤال هنا لماذا يُحبَسُون؟

- الحكمةُ من القنطرة -

يحبسون لان الجنة طيبةً لا تَقْبَلُ إلا الطيب، لا تقبل الحسد والغلَّ والبغضاء وهؤلاء فيهم وفيما بينهم أشياء مما ذكرنا لا تقبلهُ الجنة من الكره والحسد والبغضاء والغِل كانت فيما بينهم عندما كانوا في الحياة الدنيا فلا بدَّ أن يتصافوا قبل دخول الجنات. **فيتحاكمون فيما بينهم ويُرضي بعضهم البعض. كيف يتراضون؟** يتراضون بالحسنات، فيأخذ هذا من حسناتهِ وهذا من حسناتهِ حتى يرضى كُلهم وتنظفُ قُلُوبهم ويُنزَع ما فيها من غِلٍّ ويتأكدُ كلُّ واحدٍ انهُ أخذ حقهُ كاملاً، وما ذلك إلا من عدلِ الله تعالى ولأن الله تبارك وتعالى يحب انْ يدخُلَ اهلُ الجنةِ وهم في كامل السعادةِ وأتمَّ الراحة،

يتبين هذا المقام في مجمل الآية الكريمة حيث يقول الله: ﴿ **وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾ [الاعراف: ٤٣] .

فيتعدَّى هذا المقام أهل الجنة إلى الجنة ليدخلوها فلا تُفْتَحُ لهم، فَيَلْجَأونَ الى أبو البشر آدمُ "عليهِ السلام" يطلبوا منهُ انْ يَشْفَعَ لهم في فتح ابواب الجنة، **فيقول وهل أخرجكم منها إلا أبيكم آدم؟** إذهبوا الى خليل الله ابراهيم، فيقول ابراهيم "عليه السلام" لَسَّتُ بصاحب ذلك ايضاً كُنْتُ خليلاً من وراء وراء اذهبوا الى موسى "عليه السلام" كَلَّمَهُ اللهُ تكليما، فيأتون موسى "عليه السلام" فيقول لَسْتُ بصاحب ذلك، اذهبوا الى عيسى كَلمة اللهِ ورُحَهُ، فيأتون أليهِ فيعتذرُ ويقول لَسْتُ بصاحب ذلك، اذهبوا الى محمدٍ النبي الامين، فيأتون اليه فيقوم فَيُؤذَنُ لهُ، فيطرقُ البابَ **فيقولُ خازنـهُا من الطارق؟**

فيقولُ محمد بن عبدالله. فيقول المَلَكُ لكَ أُمِرتُ انْ افتَحَ ولا أفتحُ لغيرك، فيفتحُ الباب رسول الله "صلى الله عليه وسلم" ويدخلُ معه كافلُ اليتيم ومعهُ اصحاب الخُلقُ الحسن.

عباد الله هنا لا بُدَّ ان تعرف قيمة محمدٍ "صلى الله عليه وسلم" هذا النبي الكريم الذي يجب ان نُحِبَّهُ اكثرَ من أولادنا وأزواجنا وأنفسنا وأهلينا وأرواحنا. تأملوا وانظروا كيف نجدهُ في كُلَّ مُوقفٍ عصيبٍ في كُلَّ موقفٍ صَعْبٍ نجدهُ السندُ لنا صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الغرُّ الميامين.

نعم أحبتي في الله: فبعد ان يدخلوا الجنةَ اهلُ الجنة وستعرف ما اعدَّ الله لأهلها في الجنة إن شاء الله من ضمن رحلة الانسان الخالدة.

يبدأ اهل الجنة يتناقشون في ما بينهم فيسألون عن أخوانٍ لهم وأصحابٍ من أهل الايمان ومن أهل التوحيد يفتقدونَهُم، فيعرفون انهم سقطوا في النار. فيجأرون الى اللهِ بالدُّعاءِ والشفاعةِ فيأذن اللهُ تعالى بالشفاعةِ فيقوم الشهيد ويشفعُ لسبعين من أهله كُلُهم قد وجَبتْ لهم النار وسقطوا فيها فيقومُ ويخرجهم من النار ويدخلهم الجنة، ويأتي السَّقْطُ الذي ماتَ وسقط من بطن امه إن كانَ أبواه قد سقطا في النار فلا يهنأ حتى يُدخلهم الجنة. **لكن تأملوا! يجب ان يكونوا موحدين**، لأن الله لا يمكن ان يأذنَ بالشفاعةِ لأحدٍ إلا ان يكونَ من الموحدين، وهنا ايضاً تُبان قيمة التوحيد وعظيم شأنه، لذلك يقول "صلى الله عليه وسلم": **"من قال لا إله إلا الله نفعتهُ يوماً من الدهر"** [أخرجه البزار: ٨٢٩٢] .

وهذا من اعظم الأيام التي تنفع كلمةُ التوحيد صاحبَهَا .

ويبدأ كذلك الاصحاب فيشفعون لأصحابهم وأصدقائهم ومن يحبون، فيقولون يا رب لا نهنأ بالجنة وأصحابنا في النار، فيقول الله لهم اذهبوا وأخرِجُوا من تعرفون من النار، فيَخرِجُون اصحابهم، حينها يقول أهلُ النار اين فلان؟ اين فلان؟ فيسألون عن اشخاصٍ كانوا معهم يعذبون، فيُقال لهم إن لهم أصحاب قد شفعَوا لهم وأخرجوهم من النار، فيبكون بكاءً عظيماً تحسُّراً وندماً إذ لم يكن لهم اصحابٌ طيبين، فيقولون كما قال الله عنهم: ﴿ **فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ*وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ** ﴾ [الشعراء: ١٠٠-١٠١] .

لذلك عباد الله ينبغي للمسلم ان يُحب الطيبين ويُصاحب الصالحين لعلهم ان يشفعون لك في ذلك اليوم العصيب او كُن بالأحرى انتَ من الطيبين لتكون من الشفعَاءِ يوم القيامة.

نعم عباد الله، يشفع الشهداء والاصدقاء ولازال هناك أُناس موحدون في الطبقةِ الأولى ممن سقطوا في نار جهنم، هنا يقومُ الحبيبُ المصطفى محمد بن عبدالله "عليه الصلاة والسلام" فيقولُ يا رب أُمَّتي أُمَّتي، فيقول الله لهُ: أخرج منَ النار من كان في قلبهِ مثقالَ ديناراً من ايمان فيذهب فيخرجُهم من النار، كيف يعرفهم رسول الله وأهل النار كُثر ومحترقين قد تغيرت معالمهم؟

يعرفهم كما قلنا لأن الله يجعل اهل التوحيد في الطبقة الأولى لا ينتقلون الى دونها ولو كان لهم من الذنوب عنان السماء، فيعرفهم رسول الله ويخرجهم من النار ولا زال هناك اناس كثر في النار من أُمَّتِهِ "صلى الله عليه وسلم" فيقول يا رب أُمَّتي يا رب أُمَّتي، فيقول الله له يا محمد أخرج من كان في قلبه نصف دينار فيخرجهم ولا زال هناك أُناس، فيقوا يا رب أُمَّتي، فيقول الله له يا محمد اخرج من النار من كان في قلبه مثقال شعيره من ايمان فيخرجهم عليه الصلاة والسلام الرحيم الكريم.

فينظرُ ولا زال هناك اناس من امتهِ في النار فيقول يا رب أُمَّتي يا رب أُمَّتي، تخيلوا هذا الموقف العظيم نسأل الله ان ينجينا من النار، فيقول الله له يا محمد أخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرةٍ من ايمان فيخرجهم ولا زال هناك اناس من أُمَّتهِ فيقول يا رب أُمَّتي يا رب أُمَّتي، فيقول الله له يا محمد أخرج من النار من قال لا إله الا الله فيخرجهم عليه الصلاة والسلام ولا زال هناك فاذا انتهت الشفاعات حينها يقول اللهُ البَرُّ الكريم العظيم: شَفعَ الانبياءُ والشهداءُ والصديقين والناس وبقيَ ارحمُ الراحمين "جل جلاله" فيقبضُ قبضةً بيمينهِ فيُخرِجُ اقواماً لم يعملوا خيراً قط

ألا انهم ماتوا على التوحيد ماتوا على لا إله إلا الله، أُناس لم يكن معهم خيراً ابداً، فلا يبقى في النار إلا المشركين والكافرين والمنافقين .

حينما يقبض الله بيمينهِ الذين لم يعملوا خيراً قط ويخرجهم من النار يجعلهم على نهر في حافةِ الجنةِ وقد اسودت اجسادهم وتَفَحَّمَتْ اجسادهم، فَيشربون منه ويغتسلون فَينبتون من جديد وَيُسمَّونَ عُتقاءُ اللهِ من النار، كما روى ذلك الامام احمد في مسنده من حديث ابي سعيد الخدري الطويل أن النبي "صلى الله عليه وسلم" قال: "**... فيقبضُ الله قبضةً من النار ناسٌ لم يعملوا لله خيراً قَطُّ قد احترقوا حتى صاروا حُمَماً قال: فيؤتى بهم الى ماءٍ يُقالُ له ماءُ الحياة فيصبُ عليهم فينبتون كما تنبُتُ الحبةُ في حميل السَّيل فيخرجُون من اجسادِهِم مثلَ الُّؤلُؤِ في اعناقهمُ الخاتمُ: عتقاءُ اللهِ، قال فيقالُ لهم ادخُلَوا الجنَّة فما تمنيتم او رأيتم فهو لكم عندي أفضل من هذا" قال فيقولون ربنا وما أفضلُ من ذلك؟ قال فيقول رضائي عليكم فلا أسخط عليكم ابداً**" [١١٨٩٨] .

وهنا ينبغي لِكُلِّ من يقرأُ هذا الكلام وهذهِ الاحاديث ان يَعِيَ ما يقرأ ويتأملُ جيداً ويُبانُ له شيئين عظيم:

الأول: عظمةُ توحيد الله عز وجل ولهذا لا بُدَّ من تعلُّمهِ ومعرفةِ اقسامه وشروطه واركانهِ وحقوقهِ وواجباتهِ، يتعَلمُهُ ويُعلِمَهُ اهلَهُ وأولادَه ومَنْ يَعُولُ والاصحاب ليكون هو من الناجين ولِيكُونَ سبباً في نجاةِ الناس اجمعين.

والثاني: عظمةُ رسول الاسلام وخاتمُ النبيين محمدٌ عليه افضلُ الصلاة وأتم التسليم، فبعدَ حق الله حق رسوله ومن أعظم حقوقه "صلى الله عليه وسلم" إتِّباعه في ما أمَرْ واجتناب ما نهى عنه وزجر وأن لا يقدم على قوله شيء

فهو عليه الصلاة والسلام لا ينطق من هواه إنْ هو إلا وحيٌّ يتلوه: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ...** ﴾ [النساء: ٥٩] .

وان لا يُعْبَدَ اللهُ الا بما شرَّع، نسأل الله ان يجعلنا في سلك الفائزين، وان يجعلنا من المتقين الذين أُعدت لهم الجنات، وان يُدخلنا في رحمتهِ وان يعافينا في الدنيا والآخرة، وأن يلحقنا بالصالحين مع الذين انعم الله عليهم من النبين والصديقين والشهداء والصالحين.

الرحلة التاسعة

*** نعيمُ الجنةِ بعد دخولها ***

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى اله وصحبه ومن والاه، فما زلنا بفضل الله في ذكر رحلة الانسان الخالدة حتى وصلنا الى محطته الأخيرة ودخوله جنةً عرضها السماوات والارض.

فبعدما تعرَّفنا وإياكم في الرحلة السابقة التي تخص القنطرة ثم دخل اهلُ الجنةِ الجنةِ وأذِنَ اللهُ للناس بالشفاعة فشفعَ كُلُّ من له شفاعةٌ وشَفِعَ نبينا محمد "صلى الله عليه وسلم" ثم شِفعَ ارحمُ الراحمين فأخرجَ أقوام لم يعملوا خيراً قط إلا انهم موحدين، فيُدخِلهُم اللهُ دارَ كَرامَتِهِ وجَنَتِهِ، فَيَتَنَعَمُونَ فيها.

إنَّ الحديثَ عن الجنةِ حديثٌ طويلٌ جداً، ولو سَرَدْنَا كُلَّ ما جاءَ في وَصْفِهَا لم يَسَعُ ذلك كتابٌ أو كتابين والمقام هنا مقام إيجاز واختصار. قال الله تبارك وتعالى: ﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴾ [التوبة: ٢١] ، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ*ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ*وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ*لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾ [الحجر ٤٥-٤٨] ، وقال تعالى: ﴿ هَٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ*جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الْأَبْوَابُ*مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ*وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ*هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ*إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ ﴾ [ص: ٤٩-٥٤] . والآيات في ذكر وصف الجنة كثيرة جداً، نسأل الله الجنة .

وعن المغيرةَ بن شعبة "رضي الله عنه" ان النبي "صلى الله عليه وسلم" قال: أن موسى عليه السلام سأل ربهُ ما أوتي أهلُ الجنةِ منزلةً؟ فقال: "رجلٌ يجيءُ بَعْدَما دَخل أهل الجنَّةِ الجنةِ فيُقال له: أُدخل الجنةِ فيقول: يا ربَّ كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتِهِم؟ فيقول الله له: أترضى أن يكونَ لك مثل مَلكٍ من ملُوكِ الدنيا؟ فيقولُ رضيت ربَّ، فيقولُ له: لكَ ذلك ومِثلُه ومِثلَهُ ومِثلهُ فقال في الخامسةِ: رضيتُ، فيقول: هذا لك وعشرةُ امثالهِ ولك ما اشتهت نَفسُك ولَذَّت عينُك، فيقول رضيتُ ربَّ. قال ربَّ فأعلاهم منزلةٌ؟ قال: اولئك الذين أردتُ غَرَسْتُ كرامَتَهُم بيدي وختمْتُ عليها فلم تَرَ عينٌ ولم تَسْمَعْ أذَنٌ ولم يخطرُ على قلبِ بشرٍ" [رواه مسلم] .

- أدنى أهل الجنة منزلةٍ -

عباد الله أحبتي في اللهِ أتعلمونَ من آخرُ من دخل الجنةَ وأدنى أهلُ الجَنةِ الجنة؟

إن أدنى اهل الجنة رجلٌ يخرجهُ الله من النار هو آخر من يخرجهُ منها وآخر مَنْ يَدخُل الجنة، رجلٌ صرف اللهُ وجههُ عن النار قِبَلَ الجنةِ فيمشي هذا فيرى منزلاً وكأنهُ في حُلُمٍ فيقول: ربي أعطني ذلك المنزل، فيقول الله له لعلك إن أعطيتك إياه تسئلني غيره؟ فيقول لا وبعزتك وجلالك لا اسألك غيره وأيُّ منزلٍ احلى من هذا؟ فيُعطاهُ وينزلُ فيه.

ثم يُريهُ اللهُ منزلاً أمَامَهُ هو بالنسبةِ الى ما هو فيه كأنهُ حُلُمٌ فيقول: ربي أعطني ذلك المنزل، فيقول اللهُ له لعلك إن أعطيتك إياه تسئلني غيره، فيقول لا وبعزتك وجلالك لا اسألك غيره، فيُعطاهُ وينزلهُ.

ثم يُرفع له امام وجههِ منزلاً هو بالنسبةِ الى ما هو فيه كأنه في حُلُمٍ فَيَسْكُتُ الرجلُ، فيقول اللهُ لهُ يقولُ لهُ الربَّ الكريم العظيم ذو المنَّ والعطاء: عبدي مَالَكَ؟ مَالَكَ سَكَتْ؟ فيقول ربي لقد سألتُكَ حتى استحييت وأقسمتُ لك حتى استحييتْ، فيقول الله له: عبدي أترى أن يكونَ لكَ مثلُ الدنيا مُنذُ خَلقْتُهَا إلى يوم أفنيتُها وعشرةِ أضعافها؟ فيقولُ: يا رب أتهزأُ بي وانت ربُّ العزةِ؟ فيضحكُ الربُّ الكريم فيقول: لا ولكني على ذلك قادرٌ.

ثم يقول اللهُ له عبدي سَلْ فيقول ربي ألحقْنِي بالناس وأدخلني الجنة. فيقولُ له إلحقْ بالناس فيركضُ لِيلحَقَ بالناس فإذا دَنى من الجنة ليدخِلُها رُفِعَ له قصرٌ من دُرَّةٍ فيَخِرُّ ساجداً لهُ، فَيُقَالُ له مَالَكَ سَجَدتْ؟ فيقول رأيت ربي. فَيُقَالُ له إنَّما هوَ قَصْرٌ مِنْ قُصُورك ومنزلٌ من مَنازِلِكُ. فيمشي فيلقي رجلاً عظيماً قد تَلَئْلأ نُوراً عظيماً فيتهيأ للسجود فيقال له مه! مالك؟ فيقول رأيتُ الملكَ العظيم. فيُقال له انما هو خازن من خزانك وخادمٌ من خدمتك. فينطلق هذا ينطلق لذلك القصر فَيُفْتَحُ لَهُ وهو مِنْ دُرَّةٍ مُجوَفَةٍ حمراءِ مُبطنةٍ بخضراءَ كلُّ جوهرةٍ عليها سبعونَ باباً كُلُّ بابٍ يفضي إلى جوهرةٍ خضراء مُبطنةٍ بحمراء كلُّ جوهرةٍ تفضي إلى جوهرةٍ أخرى كُلُّ جوهرةٍ لَيسْت كأختِها في لونها، في كُلِّ جوهرةٍ سُرُرٌ ووسَائِدٌ وأزواجٌ وحورٌ عينٍ، أدناهنَّ حوراء بيضاء عليهنَّ سبعونَ حُلةً يُرى مُخُّ ساقها من وراءِ حُللِها اذا أعْرَضَتْ اعراضةً ازدادت جمالاً لزوجها وازداد هو جمالاً، ثم تقولان له:

الحمدُ لله الذي خَلَقَنَا لكَ وخَلَقَكَ لنا، الحمدُ لله الذي أدْخَلنا وأحلنا دارَ المُقامةِ من فضله.

فعن ابن مسعود رضي الله عنه ان النبيَّ "صلى الله عليه وسلم" قال:
"إنَّ المرأةَ من نساء اهل الجنة ليُرى بياضُ ساقها من وراءَ سبعينَ حُلَّةً

حتى مُخَّها وذلك بأنَّ الله عز وجل يقول: ﴿ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴾ فأما الياقوتُ فإنهُ حَجَرٌ لو أدْخَلْتَ فيهِ سِلكاً ثم إسْتَصفيتَهُ لأريتهُ من وَرَائِها" [رواه الترمذي وبن حبان] .

نعم عباد الله هذا هو أدنى أهل الجنةِ منزلةٍ فكيف هو اعلاها؟

يقول الله تعالى: ﴿ **فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ [السجدة: ١٧] .

نعم أحبتي في الله، يدخلُ اهلُ الايمان الجنةَ ويتنعمَّوُن فيها، أوَّلَ ما يدخلون تتلقاهم ضيافة من ربٍّ كريم فيُنْحَرُ لَهُم ثورٌ كانَ يأكلُ من ثمارِ الجنةِ آلاف السنين فيأكلون منه كُلُهم، وهم لا يأكلون أكَلَ جوع لأن الأجساد مُنعَّمةَ لا تجوع ولكن يأكلون أَكلَ شَهوةٍ، ثم بعد ذلك يشربون من عينِ ماء تسمى سلسبيلا، فما إنْ يشربون حتى تظهر بواطِنُهم ثم يغتسلون فتتغير أشكالهم كما قال الله تعالى: ﴿ **وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا*قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا*وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا*عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلا** ﴾ [الانسان: ١٥-١٨] .
ما هي أشكالهم؟

- أشكال أهل الجنة -

اما الرجل: فمباشرةً يتغيرُ شِكلَهُ فيكون طولهُ طولَ آدم عليه السلام ستون ذراعاً أمردٌ أبيضٌ أكحلٌ جمالهُ أشدُّ من جمال يوسف عليه السلام الذي ﴿ **فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ** ﴾ [يوسف: ٣١] ، ويعطيك الله قوةَ مِئة رجلٍ في كُلّ

شيء في المأكلِ والمشربِ وفي الجماع، ثم يَعطيكَ اللهُ عُمَراً لا يزيدُ على ثلاثِ وثلاثينَ سنةٍ ولو عشتَ آلاف السنين.. هذا هو الرجل.

اما المرأة: فإذا قال اللهُ عن الحور العين أنَّها لَو إطَلَعَتْ على الدنيا لَحَجَبْنَ نورَ الشمسِ من نورها ونور وجهها ولو أنَّ خمارها الذي على رأسها مرَّتْ بهِ بينَ السماء والأرضِ لملأتهُ ريحاً طيبةٌ.

فَإِنَّ نساءَ الدُنْيَا أجملُ بالأضعافِ من هذهِ الحُورِ العين، وحور العِينِ ما هُنَّ إلا خادماتٌ لهُنَّ، فالمرأةُ تُعطى الحُسْنُ والجمال ويعطيها الله الطُولُ المناسب لزوجها ثمَّ يُعطِيها اللهُ عُمراً هو من أفضلِ الأعمار، تُعطى عُمُرَ واحدٌ وعشرين سنة لا تزيد على ذلك أبداً، ثم يعطيها اللهُ الصحة والعافيةُ ويَطهرُ ما في القلب، فهناك يموتُ الحسد والغَّل والغيرةَ والضغينةُ والشَرُّ بل إنَّ الموتَ نفسَهُ يموت.

فعن ابي سعيد الخدري "رضي الله عنه" إن النبي "صلى الله عليه وسلم" ، قال: **"اذا دَخَلَ أهلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ يُنَادي مُناد: إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصحُّوا فَلا تَسْقَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فَلا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشِبُّوا فَلا تَهْرَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلا تَبْأَسُوا أَبَدًا"** [رواه مسلم: ٢٨٣٧] .

وعن جابر "رضي الله عنه" ان النبيَّ "صلى الله عليه وسلم" ، قال: **"يأكُلُ أهلُ الجَنَّةِ ويشربون ولا يتمخَّطُون ولا يتغوَّطُون ولا يبولون، طعامُهُم ذَلِكَ جَشَاءٍ كَريح المسك يُلْهَمُونَ التسبيحَ والتكبيرِ كما يُلْهَمُونَ النَّفَسَ"** [رواه مسلم: ٢٨٣٥] .

وخَرَّجَ ابن ابي الدنيا عن ابن عباس "رضي الله عنه" قال: قال رسول الله "صلى الله عليه وسلم" : **"لو انَّ امرأةً من نساءِ أهلِ الجنةِ بَصَقَتْ في سبعةِ أبحُرُ لكانت تلك الأبحر أحلى من العسل"** [صفة الجنة: ٣٠٠] .

- رؤيةُ اللهِ عز وجل -

نعم احبتي في الله فبينما أهلُ الجنةِ يتنعمُون وفي أبْهَى سعادتِهم، تأتيهم أعظمُ سعادةٍ وأعْظَمُ عَطِيَّةً التي لا ينالُها إلا المؤمنُ الموَحَّدُ المفْلح، يُنادي عليهم أن قوموا إلى الوادي الأفيحْ. فتأتي اليهم الرُكبان والنجائبُ فيركبون على ظهوره فتطيرُ بهم إلى وادٍ عظيم طولهُ مدَّ ابصارهم، فإذا دخلوا إلى ذلك الوادي نُصِبَتْ لهُم مَنابِرُ كلٌ يجلسُ على منزلتهِ، فهناك منابرُ من نور ومنابرُ من فضةٍ وذهب وياقوت وادناهم منزلةً مَن يجلسُ على كثبانِ المسك وليسَ فيهم دَنِي. فبينما هم يتسامرون ويتنعمون إذ يغشاهم نورٌ عظيم فيرفعون رؤوسَهُم فيُسلِّمُ عليهم هذا النور أنِ السلامُ عليكم، فيعلمونَ انه الله جلَّ جلاله فَيَرُدُّونَ عليه **"اللهم انت السلام ومنكَ السلام تباركتَ يا ذا الجلال والاكرام"** .

فيقولُ الله تبارك وتعالى وهو أول ما يسمعون: أينَ عبادي الذينَ أطاعوني بالغيب ولم يَرُوني وصَدَّقُوا رُسُلي واتبَّعُوا أمري؟ فَسْلوُني فهذا يومُ المزيد. قال: فيجتمعونَ على كلمةٍ واحدةٍ: رَبَّ رضينا عنك فارضَ عَنَّا. قال فيقول اللهُ لهم: يا أهل الجنةِ إنّي لو لم أرْضَ عنكم لما أسْكَنْتُكُمْ جنتي فسلوني فهذا يومُ المزيد: فيجمعونَ على كلمةٍ واحدةٍ: ربَّ وَجْهَكَ أرنَا ننظرُ إليه، فيكشفُ اللهُ تبارك وتعالى تلك الحُجُبَ ويتجلَّى لهم شيءٌ لو لا انهُ قضى عليهم ان لا يحترقوا لاحترقوا مما غَشِيَهُم مِن نوره العظيم فيزدادون

جمالاً وحسناً وبهاءً ولهم من ذلك الجمالُ كُلّ سبعةِ أيامٍ الضِّعْفُ على ما كانوا.

قال الله تعالى: ﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ*إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣] . فيرونَ الله الذي لطالما صلوا له وصاموا له وقاموا من اجلهِ وخشوهُ بالغيب والشهادة وفي السرَّ والعلن.

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ** ﴾ [الملك: ١٢] .

فلا يبقى واحدٌ في ذلك المقام إلا كَلمهُ اللهُ كفاحاً بلا ترجمان. فعن عدي بن حاتم قال: قال رسول الله "صلى الله عليه وسلم" : **"ما منكم من أحدٍ إلا سيُكلمهُ رَبُّهُ ليس بينهُ وبينَهُ ترجمان ولا حِجَابٌ يحجُبُهُ"** [رواه البخاري: ٧٤٤٣] .

نعم أحبتي في الله هذا هو النعيمُ المقيم وهذهَ هي رحلةِ الانسانِ الخالدة تبدأ بالممات وتنتهي إلى الجنات أو الى جحيمٍ ودركات.

اللهم إنا نسألك رضاك والجنة وما قَرَّبَ اليها من قولٍ وعملٍ، ونعوذ بك من سخطك والنار وما قرب اليهما من قولٍ او عملٍ، ونبوء لك بنعمتك ونعترف بذنوبنا فتدارك بعفوك فواتنا واغفر بفضلك هفواتنا واجعلنا من عبادك المخلصين يا رب العالمين، اللهم إنا نسألك حياةً طيبةً ونفساً تقيَّةً وعيشةٍ نقية وميتةٍ سويَّة ومرداً غير مُخزي ولا فاضح. اللهم اجعلنا من اهل الصلاح والنجاح والفلاح ومن المؤيدين بنصرك وتأييدك ورضاك يا رب العالمين. اللهم افتحْ لدعائنا باب القبول والإجابة واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله على محمدٍ واله وصحبه اجمعين .

الخاتمة

تمَّ هذا الكتاب بفضلِ الله وحُسِن توفيقه ويعلمُ اللهُ تعالى انهُ لا حولَ لنا ولا قوةَ في شيء إلا بالله العليِّ العظيم، ولولاه تبارك وتعالى ما كان شيء ولا يكون وما على الإنسان إلا السعي والاجتهاد والله هو الموفَّق والهادي إلى سواء السبيل.

ثم إن هذهِ الكلمات حَرَصْتُ ان يكون طرحي فيه بأسلوب جديد اسلوب القصةِ والرحلةِ حتى يجمع القارئُ والقارئةُ بين المتعة والفائدة فأرجوا ان أكون قد وَفِقْتُ لما امَّلته وهُدِيتُ لما أردتهُ، ولعلَّ ما في هذهِ الكلمات من هذا الكتاب من تخويف ووعظٍ وترغيب يكونُ سبباً لأن يتدارك أحدُنا نفسهً قبل فوات الأوان فَيفرُّ من النار الى رحمة الله وجنتهِ ورضوانهِ، وصَدَق من قال محذراً من التمادي في العصيان وغَضَبِ الله تعالى:

تفنى اللذاذةُ ممن نالَ صبوتها ... من الحرامِ ويبقى الإثمُ والعــارُ
تبقى عواقبَ سوءٍ مِنْ مغبّتهـا ... لا خيرَ في لذةٍ من بعدِها النارُ

فأتق الله أخي المسلم في نفسك، وتدارك ما بقي من عُمُرك وَاْسعَ جهك في مرضاتِهِ تعالى وطاعتهِ وتَذَكَّرْ دَائِماً قوله تعالى: ﴿ **قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ** ﴾ [الزمر: ٥٣] .

كتبهُ

أحمد محمد صالح

فهرس المحتويات

